وترى ذلك في معظم اشعاره . وقسم كبير من قصائده في الغزليات . ومن حسن قوله ابيات ذكر فيها الاحباب وايام الانس :

أخيَّ هل راجعٌ ليلٌ فينظمنا ... بشطِّ دجلةَ نظمُ العقدِ اخوانا

أحبابَنا ان نحنُ فيكم وسائلُنا ... فحسبُنا كلُّ شيءٍ بعدكم هانا

ان فرَّق الدهرُ ما بيني وبينكمُ ... فقد صحبتكمُ دهرًا وأزمانا

تركتُ في النُّجَف الاهلَ لصحبتكم ... صحبًا وأهلاً واوطانًا وجيرانا

عوَّضتموني عن اهلي وعن وطني ... بالأهل أهلاً وبالأوطان اوطانا

ومن حكمه :

ما كلُّ من صَحِبَ الاخوانَ جرَّبهم ... لا يُعرَفُ الخِلُّ إلَّا بالتجاريبِ

وقال في محاسن الشعر :

للشعرِ حُسنانِ لا تَفدوهما جهةٌ ... حسنٌ بمعنًى وحسنٌ بالاساليبِ

(البقية)

السريان في القطر المصري

لحضرة القس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي

٦ اتحاد بطاركة السريان وبطاركة الاقباط ومراسلاتهم

ظلَّت البطريركية الاسكندرية وشقيقتها البطريركيَّة الانطاكيَّة في اوَّل امرهما محافظتَين على عهودهما للبطريركية الرومانيَّة مقرَّتين بفضل منشئها مار بطرس الهامة مطيعتَين لخلفائه في الكرسي الروماني حتى ظهور البدعة المنوفستيَّة في اواسط القرن الخامس وقد صرَّح الاحبار الرومانيون برفعة شأن هذين الكرسيين المجيدين فكتب

اينوكنت الاوّل سنة ٤٠٩ الى اسكندر اسقف انطاكية « ان كرسيّك الانطاكيّ لم ينَلْ هذا الامتياز الفاخر الّا لانّهامة الرسل تبوّأهُ اوّلاً(١ » وكتب البابا جلاسيوس سنة ٤٩٤ : « ان الكرسي الثاني هو كرسي الاسكندريّة لان مرقس تلميذ بطرس قدّسهُ باسم سيّده الهامة . . . امّا الكرسي الثالث فهو الانطاكيّ لان بطرس الرسول جلس عليه قبل شخوصه الى رومية(٢ . وكتب القدّيس غريغوريوس الكبير بابا رومية الى ألوجيوس اسقف الاسكندرية : « ان بين اسقف رومية واسقفَي الاسكندريّة وانطاكية اتّحادًا وثيقاً لان بطرس الرسول اعتنى بانشائها فزيّنها وأعارهما شيئاً من سموّ رتبته فصارت هذه الكنائس الثلاث كالجبل المثلّث الغير المنقطع وغدا لها التقدّم على جميع الكنائس(٣ «

وحبّذا لو بقيت هذه الكراسي الثلاثة ثابتة على الحبّ والوداد باجمعها (٤ غير ان عدوّ الخير والدين أبى إلّا ان يفصل الكرسيَّ الاسكندري والانطاكي عن الكرسي الروماني فأصبح الكرسيّان متّحدَين قلباً وقالباً وصار بطاركتها يراسلون بعضهم بعضاً ولاسيما حين ارتقائهم الى الكرسي البطريركيّ تأييدًا لاتّفاقهم . وبناءً عليه اخذ بطاركة السريان الانطاكيّون منذ انفصالهم عن الكرسي الروماني يكتبون صورة ايمانهم ويرسلونها الى البطريرك الاسكندري ليؤيّدها . وقد اورد الشماس منّي في تاريخه ما يصرّح بذلك فذكر (ص ٣٤٤) ان البطريرك يوحنا الثاني († ٥١٧) لمّا تولّى بطريركيّة الاسكندريّة تبودلت الرسائل بينه وبين سويرا الذي اشتهر بالتعصّب للطبيعة الواحدة . وكتب ديوسقورس الثاني († ٥٢٠) رسالة ايضاً الى سويرا فاجابه انهُ مشترك معه في الامانة (ص ٣٤٦) واقتصّ اثره تيموثاوس الثالث († ٥٣٦)

وكان فريق من بطاركة السريان يسير الى مصر لذلك السبب عينه . كذا صنع اثناسيوس الاوّل بطريرك السريان(٥٩٥–٦٣١) المعروف بالجمّال فانهُ لمّا بلغهُ ان

---

١) مجموعة الآباء اللاتين لمين (٢٠ : ٥٤٨)

٢) مين (٥٩ : ١٧٠) ٣) مين (٧٧ : ٣٩٤)

٤) بعد انفصال بطريرك السريان وبطريرك القبط المنوفسيّين عن الكرسي الروماني ظلّت طائفة كبيرة في كلتا الحاضرتين اعني في الاسكندريّة وانطاكية ثابتة في المعتقد الارثذكسيّ تراجع بطاركتها بطريرك رومية جريًا على تقاليد أسلافهم وعُرفوا منذ إذٍ ببطاركة الملكيّين

انسطاس نُصب بطريركاً للاسكندرية (٦٠٣–٦١٤) شخص اليه في خمسة من اساقفته وزمرة من قسوسه ورهبانه وحمل اليه التحف والهدايا فخرج البطريرك الاسكندري ماشياً في اكليرسه وتلقّاه بالتسبيح والفرح وحلّ البطريرك واصحابهُ ضيوفاً كراماً عنده مدة اربعين يوماً. وكتب البطريركان كلاهما صكًّا صرّحا فيه باتّفاق البطريركيّتين في المعتقد المتوفستي وامضاه اوّلاً انسطاس واساقفته سنة ٦١٦ على هذه الصورة : « انسطاس برحمة الله اسقف الاسكندرية أوافق على هذا الصكّ واثبت هذه التعاليم . . . واعتبركم يا اثناسيوس رئيس الكرسي الانطاكي أخاً روحيًا وأقسم لكم بيمين الشركة والاتحاد في الرأي . . . واختم هذا الصكّ انا واساقفتي » . وقد كتب نصّ هذا الصكّ بالسريانية ميخائيلُ الكبير في تاريخه (ص ٤٠٠) وعلى هذا المنوال تمّ الاتحاد والاتفاق ما بين الكرسيّين واقام البطريركان واكليروسهما الصلاة معاً وتناولوا الاسرار المقدّسة وخطب فيهم البطريرك اثناسيوس خطبةً بليغة . ولمّا توفي انسطاس وولي بعده اندرونيقس اوفد الى البطريرك اثناسيوس المذكور رسالةً قرّر فيها الاتحاد ما بينهما

وبعد اندرونيقس تولّى بطريركيّة الاسكندريّة بنيامين السرياني عاهد الملكيين واتّفق معهم وسلّمهم الاسكندرية وبلاد مصر سنة ٦٤٠ فأكرموه واحسنوا اليه وأفازوه بامانيه . قال المقريزي (في الخطط ٢ : ٤٩٢) :

« ان ارض مصر لمّا دخلها المسلمون كانت بأجمعها مشحونةً بالنصارى وهم على قسمين متباينَين في اجناسهم وعقائدهم احدُهما اهل الدولة وكلّهم روم . . . وعدّتهم تزيد على ثلاثمائة الف رومي . والقسم الآخر عامّة اهل مصر ويقال لهم القبط وأنسابهم مختلطة لا يكاد يتميّز منهم القبطي من الحبشي من النوبي من الاسرائيلي . . . وكلّهم يعاقبة . فمنهم كتّاب المملكة ومنهم التجّار والباعة ومنهم الاساقفة والقسوس ونحوهم . . . ويبلغ عددهم عشرات آلاف كثيرة جدًّا . . . ثم صار القبط عونًا للمسلمين على الروم . . . وكتب عُمر لبنيامين . . . اماناً في سنة عشرين (٦٤٠م) . . . فغلبت اليعاقبة على كنائس مصر وديارها كلّها وانفردوا بها دون الملكيّة »

فاضطرّ قورس بطريرك الملكيّين ان ينهزم الى القسطنطينيّة وتضعضع امر الملكيّين في الاسكندريّة ، ولم يبقَ منهم سوى طائفة نزرة في القرى والضياع التي على شاطئ النيل (١ واستولى المقريزي (ص ٤٩٣) قوله بقوله :

(١) ميخائيل الكبير ص ٤٣٢ وتاريخا الزهاوي (ص ١٦١) وابن العبري المدني (ص ١٠٢)

« من عهد عمر بن الخطّاب (٦٣٤-٦٤٤) الى خلافة هشام بن عبد الملك (+ ٧٤٣) غلب اليعاقبة على كنائس مصر. . . اما الملكيّة فان ملك الروم لاون اقام قسيا (قسّما) بطرك الملكيّة بالاسكندرية في سنة ٨١٠٧ (٧٢٥م) فمضى ومعهُ هديّة الى هشام . . . فكتب لهُ بردّ كنائس الملكيّة اليهم فاخذ من اليعاقبة كنيسة البشارة. وكان الملكيّة اقاموا سبعاً وسبعين سنة بغير بطرك في مصر من عهد عمر بن الخطّاب الى هشام. . . وفي ايام المأمون (٨١٣ – ٨٣٣) مضى بطرك الملكيّة الى بغداذ فكتب له الخليفة بردّ كنائس الملكيّة التي تغلّب عليها اليعاقبة بمصر فاستردّها منهم واقام في بطركيّة الملكيّة اربعين سنة ومات »

وقال ابن العميد (ص ٤٥ من نسختنا في الشرفة):

« اخذت الملكيّة جميع الكنائس التي كانت لليعقوبية ومذ ذلك الوقت صار كرسي البطاركة اليعاقبة في دير ابو مقار »

امّا بطريركيّة الاقباط وبطريركيّة السريان اليعقوبيّان او المنوفستيّتان فظلّتا ثابتتين على عهودهما فان ايليا الاول بطريرك السريان (+ ٧٢٣) اوفد رسالة الى البطريرك اسكندر الثاني (+ ٧٢٦) في الاتحاد صحبة استفانس احد اساقفته فقبلها بفرح وكتب الى البطريرك الانطاكي جواباً (١

ولما تولّى بطريركيّة السريان ديونوسيوس التّلمحري (٨١٨-٨٣٧) أمر محمّد اخو الامير عبدالله صاحب مصر سنة ٨٢٥ بتقويض كنائس السريان في الرها فارتحل البطريرك ديونوسيوس الى القطر المصري يصحبه شقيقه ثاودسيوس مظران الرها ليدافع عن الكنائس المشار اليها. ولما وصل البطريرك الى مصر خرج النصارى وعددهم زهاء ثلاث ربوات وحيّوه بالسلام واحتفى به يعقوب بطريرك الاسكندريّة واساقفتهُ ورحّبوا بهِ مُدّعين انهم لم يشاهدوا بطريركاً سريانيّاً حلّ في ارض مصر منذ عهد سويرا (+ ٥٣٨) وفاتهم ما جرى للبطريركين اثناسيوس الجمّال وانسطاس من الاتفاق لدن مواجهتها في الاسكندريّة كما ذكرنا آنفاً فيُستدلّ من ذلك ان القبط يومئذٍ كانوا جاهلين تواريخ أجدادهم غير خبيرين باحوالهم وأخبارهم

وبعد هذا قصد البطريرك ديونوسيوس الاميرَ عبدالله بن طاهر صاحب مصر فطفق الامير يعاتبه عتاباً حبيّاً ويقول: كان الاولى لك ان تكتفي بارسال كتاب منك الينا تورد فيه مسألتك فكنا نجيب الى طلبتك. قال له البطريرك: « ان ثاودسيوس

١) تاريخ القبط (ص ٤١٢)

مطران الرها قد قدم اليكم ليحتج على محمد عاملكم في الرها لانه أمر بتقويض كنائسنا اما انا فقد أقبلت الى مصر لأتعهّد أمور الجماعة على ان شؤون الطائفة باسرها منوطة بي . فما كان من الامير عبدالله الّا أن كتب صكًا يأمر بترميم ما تُقوّض واوفد الى عامله يأمره بذلك ويحرّضه ويحضّه على مسايرة النصارى ومجاملتهم .

فاخذ البطريرك تلك التوصية شاكرًا للامير فضلهُ وحفاوتهُ وعاد الى ابرشيّته مسرورًا ظافرًا واستلم الكنائس المغصوبة . ولما كانت السنة ٨٣١ استصحبهُ الخليفة المأمون الى دمشق ومصر وكلّفه ان يصالح النصارى الاقباط . فوصل البطريرك ديونوسيوس الى مصر فخرج يوسف بطريرك القبط الى الفسطاط واستقبله ومضى به الى البشمور حيث كان النزاع والاختلاف قائمًا على قدم وساق . فخرج الوجهاء لاستقبالهما وجعل البطريرك ديونوسيوس ينصح لهم ويرشدهم حتى أطاعوا صاغرين . وجعل يوبّخ الاقليرس خاصةً على بعض عوائد ذميمة سَرَت فيما بينهم اخصّها انهم كانوا يبالغون في طعمهم بمال الشعب فيجمعونهُ من اي وجه كان ويؤدّونه للبطريرك لينصبهم اساقفة او مطارنة اذ كان يتعذّر على اي كان ان يرتسم مطرانًا قبل دفعه للبطريرك مائتي ليرة او ثلثمائة ليرة ذهبًا

وكتب ديونوسيوس البطريرك فصولًا ضافية وصف فيها ما شاهدهُ في وادي النيل من الغرائب والعجائب ولاسيما أهرامها العريقة في القدَم ومن جملة ذلك قوله : «ان هذه الاهرام مبنيّة بحجار ضخمة كالرخام تحاكي حجار بعلبك المثلّثة طولُ الحجر الواحد زهاء ستين ذراعًا في ستّ اذرع عرضًا في مثلها سُمكًا وعلى راس الهرم كرسي من حجر طوله عشر اذرع فيكون علوّ الهرم كله سبعين ذراعًا (١ منقوشة فوقه من علوّه الى اسفله صور أصنام وكتابات حبريّة تتعذّر قراءتها على علماء عصرنا(٢ »

وواصل بطاركة السريان والاقباط المراسلات حتى القرن الثاني عشر . فان يوحنا الرابع (٧٧٦–٧٩٩) كتب الى جرجس بطريرك انطاكية (٧٥٨–٧٩٠) يجدّد فيها

---

١) ان الاهرام الكبيرة ثلاثة وهي في الجيزة اكبرها هرم شيوبس طولهُ وعرضهُ الآن ٧٦٤ قدمًا وعلوّه ٤٥٠ قدمًا والثاني طوله وعرضه ٦٩٠ قدمًا وعلوّه ٤٤٦ قدمًا . أمّا الثالث فهو اصغرها . أمّا ابو الهول فطوله ١٩٠ قدمًا . ويوجد غيرها من الاهرام الا ان ما ذكرناهُ منها اعظم شأنًا . أمّا الكتابات التي رُقمت عليها فقد فكّها العلّامة الفرنسوي شمبوليون منذ مئة سنة بتصرّف

٢) الطب تاريخ الرهاوي (ف ٢٠٨ : ٢٢٥

اتحاده معه في الامانة وكان البطريرك جرجس قد أُلقي في السجن وجلس عوضه ابن احدى حظايا الخلفية ... ولما أُطلق من السجن كتب الجواب الى البطريرك الاسكندري (١ . وكتب يوحنا الخامس بطريرك انطاكية رسالة حبّية الى يوسف بطريرك الاسكندرية وارسلها مع مطراني حمص وحماة فتلقّاها بسرور وقرأها على مسامع الشعب وكتب له جوابها

وقد ورد في مخطوط مكتبة كمبردج (عدد ٣٢٨٨) وهو كتاب اعتراف الاباء (ص ٩٣١) نتفٌ من رسائل عديدة تداولها بطاركة الاسكندرية وانطاكية . منها رسالة الانبا يوحنا بطريرك الاسكندرية الى قرياقس بطريرك السريان الانطاكي (+٨١٧) . ورسالة قرياقس المذكور الى الانبا مرقس بطريرك الاسكندرية . ورسالة ثاودوسيوس بطريرك السريان (+٨١٥) الى الانبا ميخائيل بطريرك الاسكندرية . ورسالة ديونوسيوس بطريرك انطاكية (+ ٩٠٩) الى الانبا خاييل بطريرك الاسكندريّة . ورسالة غبريال بطريرك الاسكندريّة الى يوحنا (السادس) بطريرك انطاكية (+ ٩٢٢) ورسالة الانبا قزمان الى باسيليوس الاوّل (+ ٩٣٥) وجوابها . ورسالة الانبا مقار بطريرك الاسكندريّة الى يوحنا السابع بطريرك انطاكية (+٩٥٣) . ورسالة ديونوسيوس الثالث (+ ٩٦١) الى مينا بطريرك الاسكندرية . ورسالة مينا المذكورة الى يوحنا التاسع (+٩٨٦) وجوابها . ورسالة يوحنا المذكور الى مينا البطريرك وفيها يستشيره في الذهاب الى القسطنطينيّة للنظر في مسائل الدين . ورسالة فيلتاوس بطريرك الاسكندريّة الى ديونوسيوس الرابع (+ ١٠٤٢) والى اثناسيوس السادس (+ ١٠٦٤) وجوابها . ورسالة يوحنا الثاني عشر (+ ١٠٧٣) الى زخاريس بطريرك الاسكندرية وجوابها . ورسالة الانبا سانوتيوس بطريرك الاسكندريّة ومصر الى ديونوسيوس الخامس (+١٠٧٩) . ورسالة الانبا خرسطودولس الى يوحنا الرابع عشر (+ ١٠٨٧)

ولما ارتقى ميخائيل الكبير الى الكرسي الانطاكي على السريان سنة ١١٦٧ ارسل صورة ايمانه الى بطريرك الاسكندريّة طبقاً لعادة اسلافه . ذلك كلّهُ برهان مقنع على اتحاد الكرسيّين وعلى اتفاق كلمتها في الرأي والمعتقد (لهُ صلة)

١) تاريخ القبط (ص ٦٣٦)